عرض غير مهتوك

تجمهرت الصحافة أمام مخفر الشرطة، فالحدث غير طبيعي والقرية مسالمة ولم يحدث فيها ما حدث للتو منذ أن عرفها التاريخ ، اقتحم أبو مفلح الحشد بصعوبة بالغة محاولا أن يصل للضابط فؤاد، بينما كانت أم مفلح تلطم على وجهها، فلا داعي أن يتدخل زوجها في مسألة خطيرة كهذه حتى لو كان المختار.

حملق الضابط فؤاد في وجه أبي مفلح المشتعل بلظى الغضب، واستشف من تجاعيد وجهه جهله الموروث، وأدرك مدى سذاجة الموضوع الذي يحمله بين طيات لسانه من خلال مصارعته للصحفيين اللاهثين وراء نشوة الخبر. لذلك تلفت الضابط نحو عساكره وأمرهم بوضع الجثة في السيارة لنقلها للمدينة حيث مركز الأمن الرئيسي. حينئذ نادى أبو مفلح على العساكر بأعلى صوته وكأن القيامة قد قامت

- إلى أين تريدون أن تأخذوا الجثة؟! انزلوها حالا

تقدم الضابط فؤاد بعينين حمراوين ملتهبتين تكادان تحرقان الحقل المجاور، ووقف أمام أبي مفلح مباشرة، ثم قال بصرامة:

- لم تعينك الدولة قائدا لهذا المخفر كي تصدر الأوامر بدلا عني أيها المختار!

شعر أبو مفلح بخطورة الموضوع الذي كاد يورط نفسه فيه، لكنه لاحظ أهل قريته وقد بدأوا يتجمعون حوله فخشي الانسحاب وتلاشى إيحاءات زوجته التي تأمره بالرجوع، فنفخ صدره ورفع صوته قائلا:

- أنا هنا المختار ومن حقي أن أحافظ على سمعة القرية.

قرر الضابط فؤاد أن يتحدث مع أبي مفلح حسب عقليته وعقلية أهل قريته، فأمر المختار مطاع عندهم، وليس من صالح الضابط أن يعاند رأي قرية بأكملها، حتى لو كان الجهل يخيم فوقها، لذلك ابتسم ابتسامة صفراء وقال بكلل:

- ومن حق الحكومة أن تأخذ إجراءاتها وتحقق في القضية.
- ألا تعرف حكومتك أن إكرام الميت دفنه.
- حكومتنا تريد أن تحقق في مقتل هذه الفتاة المسكينة، وتريد أن تعاقب الجاني على فعلته.
- ما هذا الهراء الذي تتفوه به، كلنا يعلم أن أخاها قد قتلها ليحفظ ماء وجهه أمام البشر، فلقد كانت أخته...

كف أبو مفلح عن الكلام حينما بدأ أهل القرية بالاستغفار، والدعاء لبنات الناس بالستر، بينما أمسكت أم إبراهيم يد ابنتها بشدة وقالت أثناء مغادرتها المكان :

- صحيح أن همّ البنات للممات.

لم يلق أبو مفلح بالاً لكلام المرأة، بل استأنف حديثه مع الضابط بقليل من الجرأة المكبوتة

- يا حضرة الضابط، أرجو أن تفهمني وتقدر تقاليدنا، فحينما تنقل جثة سارة للمدينة، سيقومون بتشريحها، وفي الأول والأخير تبقى هذه الفتاة محسوبة علينا بعدما طهرها أخوها الشهم!
- التقاليد لا تطعم خبزا في هذه الأيام، لذا أرجو أن تجعلوا القانون يأخذ مجراه.

ضحك الطفل أيمن مجرد ما سمع كلمة قانون، ثم انطلق نحو أمه يطلب طعاما، فلطمته على وجهه ، فالوقت ليس وقت طعام.

ألقى الضابط نظرة خاطفة على وجوه القرويين ووجدهم مندمجين جدا مع حديث مختارهم، فاضطر أن يلجأ لشيخ مسجد القرية كي يحدث أهل قريته، وقد نجح الضابط في اختياره للشيخ، فإن كان أمر المختار مطاع عند أهل القرية فكلام الشيخ مقدس!

أوكلت القضية لضابط التحقيق صلاح، لقد كان رجلا مميزا في عمله، سريع البديهة، شديد الفطنة، قوي البنية، إن مشى أحدث في الأرض رنينا من قوة خطواته، فقد منحه الله طولا فارعا وعرضا متينا، وبدت القسوة تتخلل ملامح وجهه، فجبهته عريضة تكفي ليرسم عليها سماء بلا نجوم، وعيناه صارمتان، وأنفه ممشوق كالسيف،

فهيبته ستستوطن قلب كل من يراه. وحينما تسلم القضية أمر أن تحال جثة سارة للطبيب الشرعي، على أن يأتيه التقرير في الحال، وطلب من مساعده أن يجمع أسماء كل من يعرف سارة.

دخل أبو مفلح إلى مكتب الضابط صلاح بناء على طلبه، وبدأ الضابط بطرح الأسئلة على المختار، فبين المختار أن سارة ليست من قريتهم أساسا إنما أحضرها أخوها مسعود إلى قريتهم لتسكن مع خالتها التي تزوجت رجلا من قريتهم وتوفي عنها دون أن ينجبا أطفالا لتقوم سارة بعد ذلك على رعايتها وخدمتها وبعد فترة من الزمن توفيت خالتها وباتت تعيش وحدها، ليوسوس لها الشيطان وتعمل عملتها اللعينة مع هشام اللئيم. فهو لا يعرف أكثر من ذلك، وكان يتمنى أن يعفوا عن مسعود فسارة تستحق الموت وأكد لو أن ابنته سعاد فعلت فعلتها لقتلها حرقا، حينئذ طلب منه الضابط صلاح أن يحضر زوجته كي يستجوبها لكن الغضب قد تسلل لفؤاد أبي مفلح وأيقظته تقاليده من سبات المدينة، فصاح معترضا:

- من تظن نفسك كي تطلب مقابلة نسائنا، إياك أن تكرر ما طلبت، فـ...

على حين غفلة خبط الضابط صلاح مكتبه بيده، فأحدث صوتا تزلزل له المكتب بما عليه من جهة وأحدث ذعرا في قلب المختار من جهة أخرى، فاقترب الضابط نحو المختار كوحش يتربص بفريسته عن قرب، وقد جنحت قسمات وجهه للعداء، فأمسك تلابيب ثوب المختار كريشة فأسقط عباءته، وقال له بحدة:

- وأنت من تظن نفسك كي تتحدث معي بهذه الطريقة.

تلعثم أبو مفلح بارتجاف قائلا:

- أنا المختار!

فقال الضابط صلاح بحزم، ويداه ما تزالان قابضتين على تلابيب الثوب

- وأنا الحكومة بعينها، فإياك مرة أخرى أن تتجرأ وتتحدث مع أسيادك بهذه الطريقة، فالذي جعلك مختارا سيطحنك ويطحن أهل

قريتك إن غضب، إن كان الضابط فؤاد يلين في تعامله معك فهذا لأنه يعيش بينكم.

وترك ثوبه وأمره بالخروج، فهم أبو مفلح بالخروج وقد شعر بانكماش بات يقلص من شخصه ومكانته، حتى أنه نسي عباءته التي سقطت، فذكره الضابط صلاح بها بازدراء، فقال أبو مفلح والحسرة تكاد تقتل قلبه:

- اعتبرها هدية لحضرتك، فلم تعد تلزمني بعد اليوم.

بعد ذلك دخلت أم مفلح لمكتب الضابط صلاح والخوف يكاد يجتث قلبها ، لكن الضابط طمأنها برفق وطلب منها أن تحدثه عما تعرفه عن سارة وبعد ذلك ستغادر المكان، فقالت له أم مفلح إن سارة كانت تكره أن تسمع سيرة أخيها مسعود، حيث إنه أجبرها على ترك المدرسة رغم تفوقها الدراسي بعد وفاة والديها، وجعلها تخدم زوجته وأطفاله عنوة، وحينما جاءت للقرية تكفلت أم مفلح بإطعامها من مال الصدقات الذي كان يتجمع عند زوجها المختار ليوزعه على المحتاجين. لكنها ما لبثت فترة حتى قطعت المعونة عن سارة. وحينما سألها الضابط عن السبب، قالت: "إن سارة قامت بطرد ابنتها سعاد من بيتها" كما أنها لا تعلم لم طردتها، وأكدت أنها كانت ترى هشام يحوم حول بيت سارة بشكل يومي.

بعد أن نفضت أم مفلح كل مافي جعبتها بخصوص سارة طلب أن تأتيه أم ابراهيم، فدخلت إليه كما دخلت أم مفلح والخوف يسيطر عليها فجلست أمام الضابط صلاح وقالت إنها تكفلت بإطعام سارة بعدما قطعت أم مفلح عنها المونة، وكانت دائما تسأل عن السبب الذي جعل أم مفلح تقطع المونة عن سارة، وكانت تتعجب أيضا من حاجة سارة للمونة رغم أن أخاها مسعود فاحش الثراء كما سمعت عنه، لكن سارة بينت لها فيما بعد أن أخاها قد أجبرها على التنازل بحصتها من ورثة والديها لصالحه، وبعد ذلك بعثها لخالتها ولم يعترف عليها بأي شيء بل ربما أنه نسي أن لديه أخت تدعى سارة.

أخبر الشرطي المناوب الضابط صلاح أن مسعود قد سلم نفسه للعدالة، فأمر الضابط أن يدخل إليه على الفور، دخل مسعود إلى المكتب كما لو كان يدخل بيته، فقد كانت خطواته واثقة بالنجاة، وملامحه مكسوة بالاطمئنان التام، تعجب الضابط صلاح من هيئته وانعدام الخوف من وجهه، فسأله:

- ألا تخشى عاقبة فعلك؟!

- ولم أخشى ما فعلت؟! فأنا قتلت تلك اللعينة لأنها هتكت عرض العائلة، فرأسي سيبقى بعد اليوم مرفوعاً، ولا شك أن القانون سيقف بجانبي كما وقف بجانب الكثيرين من قبلي.

ضحك الضابط بصدق حينما سمع كلام مسعود، لكن واقع الحال قد كفه عن ضحكه، فبالفعل قد نجا الكثيرون من حبل المشنقة مجرد أنهم طهروا شرف العائلة. فرسم ملامح الحدة على وجهه وسأل مسعود:

- كيف عرفت أنها ارتكبت الفاحشة.

- لقد وصلتني رسالة من طفل صغير يدعى أيمن، حيث جاء بسيارة إلى قريتي مع شخص أجهله، وأعطاني الرسالة ثم انصرف.

- ماذا كان في الرسالة؟!

وأخرج مسعود من جيبه الرسالة وسلمها للضابط ليقرأها ، فقد تبين أن الرسالة قد كتبت من فاعل خير وقد جاء فيها أن سارة على علاقة غير شرعية مع هشام. بعد ذلك توجه مسعود إلى أخته وسألها عن قصة الرسالة، لكنها أكدت ما جاء فيها وقالت له إنها أيضا حامل بجنين هشام، وطلبت من أخيها ألا يتدخل بها أبدا، فإنه من غير المعقول أن يرميها رمية الكلاب وحينما تخطئ يتذكر أخوته اتجاهها، وقتئذ لم يتمالك مسعود ما مر عبر ممر أذنيه من حديث، فقام بطعن أخته عدة طعنات أدت لقتلها، وبعد ذلك أخبر القرية بقصتها فزفوه فرحين لرجولته المزعومة، وبالنسبة لهشام فلقد ولى هاربا ولم يظهر منذ ذلك الوقت.

طلب الضابط صلاح من جنوده أن يودعوا مسعود السجن، وأن يبعثوا الرسالة لخبير الخطوط لمعرفة صاحب الرسالة، كما طلب أن يحضروا له سعاد ابنة المختار، وحينما حضرت بدت للضابط أنها فتاة منافقة صاحبة وجه جميل يخلو من الحياء، حيث إنها هرعت نحو الضابط لتقبل يداه كي لا يورطوا هشام في القضية، فهشام بريء من اتهام سارة الشنيع، فتعجب الضابط من ثقتها الشديدة ببراءة هشام من تهمته الموجهة إليه، وحينما سألها عن السبب تبين أنها كانت تزور سارة لغاية في نفسها حيث إنها كانت تقابل عشيقها هشام في حديقة بيت سارة، فتعجب الضابط صلاح لما سمع، وسألها إن كانت سارة تعلم بعلاقتها مع هشام، لكنها بينت أنها كانت تستغفل سارة حينما كانت تعد الشاي في المطبخ وتخرج للحديقة لمقابلة عشيقها، وحينما رأى الضابط انهماك سعاد في الحديث وعلم أنها تحرص على الدفاع عن هشام، استغل ذلك لصالحه وسألها عن سبب طرد سارة لها من البيت، فقالت دون حياء أن سارة رأتهما في يوم ما وهما يقبلان بعضهما في الحديقة، ومن وقتها هرب هشام خشية ان تفضحه سارة عند المختار.ضحك الضابط في نفسه وتعجب أن تكون هذه ابنة المختار الذي كان أبوها يهدد قبل قليل أنه سيحرقها لو ارتكبت خطأ ما، فخرجت من مكتب الضابط بعدما توسلت إليه ألا يخبر أحدا بما حدثته فالقضية قضية ستر عرض فتاة!

تأفف الضابط صلاح بشدة وكأنه يريد أن يخرج أسرار القضية مع أنفاسه، وطلب من عساكره أن يحضروا له الطفل أيمن، وحينما جاء الطفل أيمن كان قد استقر الهلع مكان وجهه، فطمأنه الضابط بأسلوب محبب وأحضر له حلوى لذيذة، فاعترف الطفل أن سارة هي التي بعثته في سيارة العم كمال ليرسل الرسالة لأخيها بعدما أعطته نقودا ليشتري فيها حلوى كثيرة، حينئذ اشتعلت نيران العجب في رأس الضابط صلاح الذي أصبح جافا، وخصوصا حينما أصبح متأكدا من العم كمال أن سارة هي من بعثت الرسالة لأخيها مع الطفل أيمن.

دار الضابط صلاح حول مكتبه عدة دورات، ووقف عند الشباك وهو يستنجد بالأفق كي تفك شباك القضية، فكيف لسارة أن ترسل الرسالة لأخيها، هل تكون أمية مثلا لا تجيد القراءة، وقد ضحك عليها شخص ما وجعلها ترسل الرسالة لأخيها، أم أنها تعلم محتوى الرسالة وقد بعثتها لأخيها بكامل إرادتها، حينئذ طرق الشرطي المناوب بابه وجاء له بتقرير خبير الخطوط فكانت نتيجة التقرير بمثابة الطامة، حيث تبين أن سارة هي من كتبت الرسالة بيدها، حينئذ لم ينتظر الضابط صلاح أن يصله تقرير الطبيب الشرعي وكأنه قد خمن نتيجته مسبقا، فتوجه بنفسه على الفور نحو الطبيب الشرعي وظهرت النتيجة التي هزت أرجاء الصحافة، وتناقلتها الألسن عبر الأجيال، وأسرت مشاعر السامعين، فقد بينت النتيجة أن سارة ماتت وهي عذراء...

النهاية